

رواية إعدام رئيس

دراسة في تداخل الأجناس

د. عواد أحمد الدندن

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد- الأردن

الملخص:

غدت ظاهرة تداخل الأجناس من الظواهر الأدبية التي سطعت في حقل النقد الأدبي الحديث، وبات النص الروائي نصاً مفتوحاً ومشروعاً لعدد الأجناس على تعددها واختلافها.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة تداخل الرواية والمقال في رواية إعدام رئيس، لما تحتويه هذه الرواية من تقنيات ومرجعيات خاصة بفن المقالة والخبر بأنواعه، ومغايرتها للأنماط الروائية السابقة، فقد مثّلت مرحلة الألفية الجديدة نقلة نوعية في مسيرة السرد الروائي، فيها الأحداث السياسية والتقلبات في مركز السلطة معين الأدباء والنقاد والكتّاب الذي لا ينضب، ووجد الباحث في هذه الرواية - إعدام رئيس - نمطاً سردياً جديداً، وفلسفة جديدة في الطرح والتشكيل والبناء، وبات النص الروائي فيها مفتوحاً على مصرعيه، متضمناً جنس المقالة من خلال عناصرها وموضوعاتها وسماتها، وهو ما يؤكّد مدى التطور الذي وصلت إليه هذه الرواية في استقاداتها من أحداث العصر وتقلباته، ففي العصر الحديث أصبح فن المقالة من الفنون الأكثر استخداماً بين الفنون التعبيرية لمصاحبتها الصحافة ووسائل الإعلام المتنوعة، لهذا وجدت الرواية حاجتها في تشييد معمارها الفني، فاحتوته في متنها، وصار لزاماً علينا الوقوف عند هذه الظاهرة في هذه الرواية، وتناولها بالدرس.

الكلمات المفتاحية: الأدب الحديث، التجريب، النص المفتوح، المقالة.

Abstract:

This research aims at identifying and studying the overlapping of different literary genres in the Jordanian novel, taking the novel and the article as models. The study focuses on the postmodern era, especially with the beginning of the new Millennium, specifically between 2000-2013. During this time, the

overlapping of literary genres in the jordanian novel witnessed a qualitative transition and a new phase in its structure and narrative style. Also during this period of time, the political events and the fluctuations in the political centers of power formed an inexhaustible source of topics for writers and critics as well, making the article, which primarily deals with politics, an indispensable and an inseparable form of art from the art of the novel. At this stage, the researcher found a multiplicity of patterns in the narrative styles, and new themes, structures, and forms within the jordanian novels, making it tolerant and open to include other forms of literary genres like the article as one of the most important and common forms of expressive arts due to its attachment to the media and the press in general. This popularity of the article as a literary genre in the postmodern era made it necessary for the jordanian novel to make use of it to develop its artistic structure, themes, and narrative style. The researcher finds it necessary to critically study and research this new literary phenomenon.

Key Words: experimentation, narrative styles, open text, jordanian novel.

مقدمة:

للرواية ارتباطات وعلاقات مع الأجناس الأدبية الأخرى، ذلك أنّها في العصر الحديث تجاوزت حدود النوع الذي وُضعت فيه، ولم تعد تنحصر في الشكل الأحادي التقليدي، وإنما أخذت أنماطاً جديدة من التعبير ومستويات الخطاب، مستفيدة في ذلك كله من روح العصر ومواكبتها لكل ما هو جديد ومتطور في عالمنا. فتبعاً لذلك تغيرت صيغ التعبير وأخذت الرواية على عاتقها الخوض في مرحلة التجريب من خلال كتابها ذلك أنّ الهدف الأسمى منها في العصر الحديث أن يفهم الروائي نفسه، ويعكس وجهة نظره تجاه العالم الذي يعيش، فتوجهت إلى كل ما هو جديد وما يخدم وجهتها؛ فتلقّحت من الأجناس الأدبية الأخرى، وأخذت من تقنياتها وطرائقها ووظفقتها في متنها، لتخرج بقلب روائي جديد في كلّ مرحلة من مراحل الألفية الجديدة فالرواية دائمة التجدد والتطور ويعود ذلك إلى طبيعة هذا الفن الذي يتّصف بالانسيابية والمرونة واحترامه واحتوائه للأجناس الأدبية

الأخرى، إذ سمحت لعدد الأجناس أن تحضر في متنها من خلال تقنياتها، غير أنها في النهاية تبقى الهوية الروائية هي الهوية الرئيسية الممثلة للعمل الأدبي. تطرقت بعض الدراسات النقدية حول الأجناس الأدبية التي تداخلت في متن الرواية من غير المقال، والتي حققت وجودها مع احتفاظ الرواية بهويتها السائدة وكيانها، ونضيف في هذه الدراسة لفنٍ نشري جديد استثمرته الرواية ووضعت في قالبها، لتخرج بنمط روائي جديد، ألا وهو فن (المقالة / المقال)، وتعد رواية إعدام رئيس أنموذجاً روائياً تجريبياً تداخلت فيه سمات المقالة والخبر التلفزي من حيث اللغة والمرجعية والبناء والتشكيل، وكله جاء استجابةً لحركة التجريب الروائي التي غشيت الأدب عامة والنص الروائي على وجه الخصوص. ففي العصر الحديث استفاد الكتاب من الأحداث التي يمر بها العالم في جوانبه السياسية والاجتماعية والفكرية فصاغوا أعمالاً أدبية تعكس واقعه - العالم - وتبين وجهة نظر الكتاب ومقدار تأثرهم بعصرهم، فجاء المقال بأقسامه جنساً ثرياً متداخلاً مع هذه الرواية؛ ليأخذ على عاتقه هذه المهمة بمصاحبة الرواية؛ ذلك أنّ حضور المقال في هذه الرواية كان حضوراً واضحاً من جوانب متعددة سيتم الوقوف عليها لاحقاً في متن الدراسة، فالروية هي الأم الحاضنة والرؤوم وهي البيت الذي تستظل به الأجناس الأدبية وتسنأنسه وهي البوتقة التي يصهر فيها الأجناس على تعددها واختلافها.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ظاهرة تداخل جنسي الرواية والمقالة في رواية إعدام رئيس، وبيان التطور الذي وصلت إليه الرواية، ومدى توظيف تقنيات المقالة في هذه الرواية، والكيفية التي بُني فيها النص الروائي، ومدى نجاح هذه الفلسفة الجديدة في الطرح والتشكيل والبناء؛ ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ما مدى التطور الذي وصلت إليه رواية إعدام رئيس في تداخلها مع فن

المقالة؟

2- ما التقنيات التي وظفتها الرواية في تداخلها مع المقالة من حيث التداخل

الأجناسي؟

3- هل تعد هذه الظاهرة - التداخل بين الرواية والمقال - في رواية إعدام رئيس

من ظواهر التجريب فيها؟

منهجية البحث:

تقوم منهجية البحث على استقراء الرواية وتتبع التقنيات السردية الموظفة فيها، والوقوف على الملامح المقالية من حيث اللغة الكيفية والمرجعية، وجنوح الرواية إلى التعبير الوظيفي، ومفارقتها للتعبير الإبداعي (الأدبي)، واقفاً في النهاية على مدى نجاح هذا النمط في تكوين سردية الرواية، متبعاً في ذلك كله أسلوب التحليل الناقد، من حيث البناء والتحويلات السردية في هذا النمط الروائي الجديد. وقد جاء البحث مقسوماً وفق متطلباته إلى: الرواية وأحداث العصر، رواية إعدام رئيس والتداخل الأجناسي، بنية الخطاب في الرواية، وفي النهاية متبوعاً بالخاتمة والنتائج وقائمة المصادر والمراجع.

1- الرواية وأحداث العصر

"إنّ الحادثة العربية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بما حدث في بُنى المجتمع العربي على كافة الصُّعد من تطوّر أولاً، وبهزيمة مشروع أو مشاريع بنية الفكر العربي على اختلاف مناهج هذا المشروع قومياً ودينياً وعلمانياً في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد نتج عن هذه الهزيمة تصدّع في الذات العربية، وتفسّخ وتسيب لا حدود له إلى درجة أنّنا أدخلنا القرن الحادي والعشرين ونحن مفلسون. لقد أدخلنا إليه عنوة رغم إرادتنا خلاف دخولنا القرن العشرين، إذ كان يحدونا آنذاك الأمل بالتطور والتغيير وتحقيق ذات الأمة، فشهدنا ثورات متعددة، وانقلابات وحقول إصلاح، ولكنها لم تقم على رؤية شمولية، ولم يكن لها استراتيجية واضحة المعالم، فكان الخلل والإخفاق والتشرد، والتسطح في الرؤية والمواقف، وفي العمل". (1)

من هنا كان للأحداث السياسية العالمية أثر كبير في مسيرة الأدب عامة، والرواية على وجه الخصوص، فالأدب مرآة عصره ووجهه الذي نقش على صفحات التاريخ، وإذ تعد منطقة الشرق الأوسط (الوطن العربي) على مرور الزمن حبلً بالأحداث السياسية التي مرّ بها الوطن العربي من تقلبات في مركز السلطة والخوض في لعنة

الحروب الإقليمية والعالمية، وقد كان الأدب في كل تلك الأحداث مصاحباً للتطورات السياسية، فهو - الأدب - " في ثورة متصلة، ثورة توازي الثورة السياسية المتصلة في مسيرها أيضاً، وتعاني من صور الركود والجمود واليقظة والتراجع في زميلتها" (2). لهذا توجهت رواية إعدام رئيس بوصفها جزءاً من الأدب إلى كل ما يخدم وجهتها وكيونيتها، فوجدت في المقالة الصحفية والخبر المنقول تلفزياً ما يعينها ويحقق لها الاستمرار والوجود؛ لتتفي الرواية عامة عن نفسها ما ذهب إليه بعض النقاد والدارسين إلى فناء هذا الجنس الأدبي وزواله، ففي دراسات سابقة وقفنا على الاستراتيجية الروائية في محافظتها على نفسها وهويتها، حيث وظفت التقنيات السردية من الأجناس الأدبية الأخرى، غير أنها لم تعطها الحرية المطلقة التي تسمح لتلك الأجناس المساس بحدودها أو التعدي عليها، فاستفادت من القصة القصيرة والتاريخ والسيرة والمسرحية، ونراها في هذا الفصل تصل حدود المقالة، بهذا تحقق الرواية لنفسها ما عجزت عنه الأجناس الأدبية الأخرى وحرّيتُ بنا القول: إننا نعيش زمن الرواية؛ زمن النص المفتوح.

2- إعدام رئيس والتداخل الأجناسي(*)

جاءت رواية إعدام رئيس في مائة وثلاث وثمانين صفحة من القطع المتوسطة، متضمنة عتبات نصية تصلح هذه العتبات أن تكتب مقالات في صحف أو مجلات أو تقارير ميدانية لإحدى القنوات التلفزية، يعبر من خلالها أصحابها عن واقع سياسي مرّ به بلد عربي هو العراق، فقد صوّرت الرواية الغزو الأمريكي للعراق في بداية الألفية الجديدة؛ معتمدة في ذلك على ما ورد من معلومات في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة. ولعلّ ما ورد في بداية الرواية (المقدمة) يعدّ بمثابة الميثاق الموجه للقارئ وكشف القناع عن المرجعية التي اتكأ عليها الكاتب في صياغة هذا العمل، وفيها يقول: " حقبة سوداء من تاريخ أمة، أذاقها الله لباس الجوع والخوف والذل والمهانة، قدمت أشرف رموزها الشرفاء إلى مقصلة الخنوع بأجر زهيد، وثمان بخس من الحبل الذي طوّق رقبته الشريفة، والتمن هو السكوت مقابل السكوت" (3).

صدرت هذه الرواية في عمان- الأردن عن دار يافا العلمية للنشر والتوزيع عام 2009، للكاتب الأردني تيسير الغول،* وهي تعد من الروايات الأنموذج، التي تتداخل فيها الرواية والمقالة بأنماطها مع بداية الألفية الجديدة.

لقد أدانت الرواية بطرحها وتشكيلها التجريبي أساليب القهر السياسي من خلال تصويرها وإبرازها لواقع القمع والاضطهاد والاحتلال والتعذيب الذي يسيطر على الحياة السياسية في العراق، ويحد من حرية الإنسان ويعتدي على حقوقه الإنسانية العامة والخاصة، فالرواية وإن كانت تصوّر الاجتياح الأمريكي للعراق؛ فإنها في الوقت نفسه ترفض القهر والإرهاب الفكري والتعذيب المادي والمعنوي.

3- بنية الخطاب في الرواية

تجد رواية إعدام رئيس في المقالة الصحفية نمطاً جديداً من أنماط التعبير وصيغاً أسلوبية وتجريبية؛ لتؤكد أنّ الرواية عامة مسايرة لروح العصر، وأنها " أكبر الفنون الأدبية عمقاً واتساعاً، لأن معمارها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية، ونضيف إليها تصوير المجتمع والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره واستيعاب التاريخ والتنبؤ باتجاهات المستقبل، وقد تطورت الرواية من أداة للتسلية وحكايات المغامرات والأساطير إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان وتاريخه ونفسيته ووضعه في المجتمع، يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة من خلال شخصياتها الروائية الفردية" (4). وبذلك لم يقتصر التجريب الروائي عند الكتاب على إعادة صياغة الماضي في عاداته وتقاليده وشخصياته وموروثاته؛ بل تعدتها إلى صياغة بنية شكل الرواية وفق قوالب جديدة قوامها تفتيت النص، وإعادة صنعه من جديد، وتضمينه لأحداث العصر وتقلباته، وفي رواية إعدام رئيس نجد النص الروائي فيها اعتمد بناءً معمارياً جديداً لا يأبه بالتقاليد المألوفة لصياغة السرد أو الخطاب الروائي أو الأسس التي يقوم عليها البناء التقليدي للرواية، فقد قامت على بناءٍ فني يعتمد الأسس المقالة والأخبار الصحفية والتلفزية، حاول الكاتب أن يحصرها بين دفتي الرواية، ويودعها - الأسس المقالة والأخبار الصحفية والتلفزية - في بنية هذا الشكل.

انطلاقاً من " أنّ المقال الصحفي هو امتداد للمقال الأدبي الذي ظهر في أوروبا منذ النهضة " (5)؛ تقف رواية إعدام رئيس على حقائق تاريخية في مسيرة العراق بأسلوب مقالي، متخذةً من شكل الخبر أساساً سردياً في بنائها والذي يعني بمفهومه العام - المقال الصحفي - : " الإخبار الموضوعي عن حدث يحظى باهتمام وذلك في إطار

وصياغة محددة" (6)، ولهذا فقد جاء السرد فيها - إعدام رئيس - على نمطين؛ الأول: الخبر الصحفي: وهو " إمّا أن يصف أحداثاً ويورد وقائع أو يسرد أقوالاً وتصريحات عادة ما يُدلي بها الناس الذين تتداول أسماءهم الأخبار" (7)، والثاني: شكل الخبر المنقول تلفزياً؛ والذي يُعرض من خلال شاشات التلفزة والقنوات المرئية. ومن هنا فإنّ " الخبر يعدّ اللبنة الأولى في العمل الصحفي، ابتداءً من أبسط الأشكال الصحفية (الخبر) مروراً بالحديث الصحفي والتحقيق الصحفي والمقال بأنماطه المتعددة والدراسة الصحفية، وصولاً إلى استخدام هذه الأشكال جميعها أو بعضها دون غيرها في حملة الصحافة محددة الأهداف" (8). تحقّق الرواية بهذا الأسلوب نمطاً روائياً جديداً ينضاف إلى الأنماط الروائية التي سبقت وإن احتضنتها، ففي جل العتبات النصّية في متن الرواية يقف الكاتب على وقائع وأحداث مستمدة من وسائل الإعلام المتعددة لاسيما (الصحافة والتلفزة)، ذلك أنّه في قائمة المصادر والمراجع يورد الكاتب المصادر التي اتكأ عليها في صياغة هذه الرواية، حيث استعان في جمع هذه المقالات والأخبار بكل من قناة الجزيرة الفضائية، وقناة العربية الفضائية، والتلفزيون الأردني، والصحفي أحمد منصور، وقناة الزوراء الفضائية، وصحيفة الدستور الأردنية وغيرها. ولا شك أنّه بهذه القائمة تكون الرواية قد سُردت بثوب روائي تجريبي يقوم على الاستفادة من وسائل الإعلام وما كتب في الصحف والمجلات وقنوات التلفزة، وحُصِرَتْ مهمة الكاتب في جمع هذه المقالات والأخبار الصحفية؛ ليصوغها على شكل رواية تنكئ على الأحداث السياسية وتستفيد منها. وتجدر الإشارة أنّ توظيفه الموروث السياسي والثقافي والفكري لم يكن لأجل التوظيف، أو لإيجاد حلية في الرواية، أو لبيان ثقافته التاريخية؛ وإنما لترسيخ وعي سياسي بخطاب جمالي البناء والأسلوب، وتشكل عبره الشخصيات الروائية وهي تنبئ عن أفكارها وخصوصيتها ومستوياتها النفسية والاجتماعية والفكرية وعن رؤيتها في التحول من المستقبل الآسن إلى بحيرة تزخر بالحياة. ففي عتبة (في بغداد) - مثلاً - يصوّر الكاتب بداية اجتياح الغزو الأمريكي للعراق، ويحدد ذلك بتاريخ دقيق، إذ يقول: "وبتاريخ 2003/4/9 تتجه ثلة من الدبابات المدرعة الأمريكية نحو ساحة الفردوس مختربة شارع السعدون أضخم شوارع العاصمة العراقية بغداد، ثم تتحلّق حول الساحة

التي يتوسطها تمثال الرئيس صدام حسين الذي اختفى عن الأنظار مع كبار قادته منذ أيام " (9) هذه الفقرة أنموذجاً مقتبساً من متن الرواية، وتصلح أن تُقرأ مقالاً في إحدى الصحف أو المجلات أو الإعداد للتقارير الميدانية في إحدى وسائل الإعلام، أو خبراً في القنوات الفضائية؛ لتخرج الرواية من التعبير الإبداعي إلى التعبير الوظيفي؛ " فالتعبير الوظيفي: تعبير موضوعي، في حين التعبير الأدبي أو الإبداعي ينطوي على حقائق ذاتية من إبداع صاحبه، فتظهر فيه ثقافته، توجهه الفكري ومشاعره كما ينطوي علة نظره؛ إنه رؤية لشيء ما، لقضية ما، لخاطرة ما أو تصور ما، ولكن من خلال صاحبه، فتتجلى فيه أسلوبه وطريقته ورؤيته. أمّا التعبير الوظيفي: فهو موضوعي؛ بمعنى أنّ الكاتب غير مشغول إلا بالمسألة التي يريد توصيلها ومن ثم لا تظهر عواطفه أو مشاعره أو مواقفه، وغالباً ما تنتم كتابة النصوص الوظيفية بموجب قوالب كتابية كالتقارير، أو الرسالة، أو الخبر، أو التحقيق " (10) وهو ما نلتمسه في هذه الرواية؛ إذ أوجدت نفسها تعبيراً جديداً يكمن في تحولها إلى التعبير الوظيفي ومفارقتها للتعبير الإبداعي.

لعلّ ما يعزز حقيقة تداخل الرواية مع المقالة الصحفية والأخبار المنقولة تليقياً في هذه الرواية غياب البطولة الفردية وعدم اختصار الرواية على شخصية واحدة تدور حولها الأحداث، فالرواية معتمدة في مضمونها على أخبار ومقولات مستمدة من قنوات فضائية وشخصيات حيّة كانت شاهد عيان على الحدث، لذا فإننا نجد تعدداً في توظيف الشخصيات الحقيقية والخيالية، لنلم الرواية بأحداث سياسية عربية في أقطار متعددة لاسيما الغزو الأمريكي للعراق والاحتلال الاسرائيلي لفلسطين، ولعلّ من أكثر المواقف تأثيراً في الرواية تعبيرها عن أزمة الاحتلال وتجسيدها أزمة شخصية (صدام حسين) من خلال إدارة الحوار على لسانه، ففي عتبة (إعدام رئيس) يقول الراوي: " 2006/12/30 في صباح يوم عيد الأضحى في الساعة السادسة فجراً بتوقيت بغداد نفذ حكم الإعدام بصدام حسين، رئيس الجمهورية العراقية بعد خمس وخمسين يوماً من إصدار الحكم عليه " (11).

من الفقرات التي تصلح أن تكون تقريراً صحفياً لإحدى القنوات أو الإذاعات التلفزيونية ما ورد في عتبة (شبح الحرب الأهلية)، إذ يقول الكاتب: " تدخلت جامعة الدول

العربية، ودعت إلى مؤتمر للتقارب السنّي الشيعي، وقد عُقد المؤتمر فعلاً واستمرّ عدّة أيام قدّم خلالها المؤتمرون اقتراحات لتقليل الفجوة بين الطائفتين، وقد كان المؤتمر على قدر من الجدية والحزم، ولكنه لم يغير شيئاً على أرض الواقع، واستمر القتال على نفس الوتيرة، مما دعا المملكة العربية السعودية لدعوة الأطراف السنية والشيعية إلى مكة المكرمة ليتعاهدوا أمام الله تعالى في الكعبة المشرفة ويوقفوا ذلك الصراع، إلا أنّ مقتدى الصدر زعيم التيار الشيعي في العراق لم يبعث مندوباً عنه إلى مكة؛ مما أدى في تسبب فشل الاجتماع وتبدد جميع الجهود المبذولة⁽¹²⁾. تخلو هذه الفقرة وغيرها من الفقرات في متن الرواية إلى الجانب الإبداعي (الأدبي)؛ وإنما تنحصر في الجانب الإخباري المتداول في وسائل الإعلام، مما جعل منها - الرواية - نمطاً جديداً من أنماط الرواية الحديثة، فهي أشبه بمقالات إخبارية متعددة المصادر جمعها الكاتب وضمّنها في سرد روائي؛ لتكون الرواية قد احتضنت جنساً أدبياً جديداً ضمنته في متنها واستثمرته في توسيع سطوتها ومشروعها " فليس اتساع الرواية في استيعاب عديد الأجناس مقتصرًا على الأجناس الحوارية دون سواها، بل إن سمة التعدد هذه تنسحب على الرواية برمّتها، مما يمهد للقول: إنّ الرواية متعددة الأصوات تكاد تختص ببنية تميزها عن الروايات الأخرى⁽¹³⁾. وعلى ذلك فلا يوجد اختلاف بين مفهومي تعدد الأصوات والحوارية، فالحوارية تعتمد على الثنائية في حين تعدد الأصوات تستند إلى الكثرة " ذلك أنّ باختين يلحق تعدد الأصوات بمجال التفاعلات الأجناسية، فلئن كان أمر الحوارية متعلقاً بصيغ تمثيل خطاب الآخر داخل الرواية، فهو بالنسبة إلى تعدد الأصوات يضحى في تماس مع تفاعل الأجناس وتداخلها⁽¹⁴⁾.

للمقال الصحفي وظائف متعددة⁽¹⁵⁾ يمكن حصرها في هذه الرواية فيوظيفتين هما: الإعلام: ويقصد به تقديم المعلومات والأفكار الجديدة عن الأحداث أو القضايا، أو المشاكل التي تشغل الرأي العام؛ والثاني: التوعية السياسية: ويقصد به شرح المقال سياسة الحكومات والأحزاب المختلفة في قضايا المجتمع، حتّى يكون القارئ قادراً على اتخاذ موقف وفهم مواقف كل طرف من الأمور المثارة حوله.

3- 1 اللغة

اعتمدت رواية إعدام رئيس على مجموعة المقالات الصحفية المنشورة في وسائل الإعلام، والتي تأتي - المقالات الصحفية - وسط بين المقالين الأدبي والعلمي، وفيها شيء من ذاتية الأديب وفيها شيء من موضوعية العالم، وتقوم لغتها على السهولة والبساطة والوضوح، وهي قد تستفيد بشيء من جمال الأسلوب الأدبي، وقد تستفيد بكثير من دقة الأسلوب العلمي⁽¹⁶⁾. إنّ ما نجده في هذه الرواية، اقتراب لغتها من لغة المقال الصحفي من حيث السهولة والبساطة والوضوح والبعد عن شعرية اللغة الأدبية (الروائية)، وقد استطاع الكاتب أن يحيك هذه المقالات وينسجها في متن روائي ويسرد تجريبي يعتمد على الوقائع والأحداث السياسية، وهي بذلك تشارك فن المقالة الصحفية والخبر المنقول تلفزيونياً من حيث الوظيفة، فكما أنّ للمقالة الصحفية والخبر التلفزيوني وظيفة إخبارية؛ نرى الرواية قد كلّفت نفسها - بثوبها الجديد - وظيفة إخبارية كذلك، فما احتوته هذه الرواية - إعدام رئيس - من حقائق يمكن لأي مقال صحفي أن يحتويه، ولكن بهذا النمط الروائي الجديد تكون الرواية الحديثة " أداة فنية للوعي، يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصياتها الروائية الفردية، ومن هنا تصبح الرواية طاقة سياسية هامة في التعبير عن روح الأمة وأزماتها وطموحاتها"⁽¹⁷⁾.

3- 2 المرجعية

لقد تضمنت الرواية - إعدام رئيس - العديد من الأحداث السياسية التي مرّت بها البلاد العربية لاسيما العراق والأردن؛ أمّا العراق فقد تعرضت للغزو الأمريكي، وأمّا الأردن فقد تعرضت لتفجيرات دموية استهدفت بعض الفنادق في العاصمة عمّان، إضافة لتضمين الرواية بعض الشخصيات الحقيقية؛ لاسيما شخصية (أبي مصعب الزرقاوي)، وشخصية (صدام حسين) وغيرها من الشخصيات التي كُتبت عنها في الصحف ووسائل الإعلام المتعددة؛ لتكون الرواية قد استمدت مضمونها من هذه المواقع الإخبارية بواسطة مقالاتها على تعدد موضوعاتها، فمن حيثُ الفكرة؛ فقد قامت الرواية على فكرة المقال الصحفي، " التي تتبنى على فكرة يستمدّها المقال من الأجواء المحيطة به، قد تكون خبراً يصل إليه من مصادر الأخبار أو تعليقاً على موضوع سياسي أو اقتصادي

أو اجتماعي، أو تعليقاً على موضوع خفيف شد المقالي وضرب انتباهه، أو خاطرة للمقالي ورأى أن يكتبها" (18). وهنا جاء المقال في هذه الرواية تعليقاً على الجانب السياسي المتمثل بالغزو الأمريكي للعراق، مما يقربها أكثر من المقال الصحفي. في عتبة مقتل (عدي وقصي)، تظهر الملامح المقالة الإخبارية، إذ يقول: " أظهرت قناة العربية الفضائية شريطاً مسجلاً منسوباً إلى فدائيي صدام في محافظة الأنبار توعّدوا فيه القوات الأمريكية بمزيد من الهجمات بعد مقتل نجلي صدام حسين عدي وقصي، فقد نشرت وزارة الدفاع الأمريكية صوراً قالت إنها جثتا عدي وقصي، حيث صرح أحد أعضاء مجلس الحكم العراقي أنه رأى الجثتين، وأنه تأكد أنهما نجلي صدام حسين قصي وعدي، حيثُ قُتلا في مدينة الموصل بقصف امريكي على المنزل الذي كانا يتواجدان فيه" (19). يمثل هذا السرد الإخباري تسير رواية إعدام رئيس في بناء أحداثها ومواقفها، إذ تقترب من نمط الرواية السياسية، أو ما يعرف برواية المقالة السياسية " التي تهدف إلى تأكيد فكرة سياسية والدفاع عنها، أو الدفاع عن مبادئ سياسية وفكرية أو معارضة ذلك، ويقصد بالمقال السياسي بيان القضية بتقرير أصلها التاريخي ووضعها القانوني، اعتماداً على الأدلة والقواعد والتقول، ويقصد من جهة أخرى إلى الإقناع بما في ذلك صواب أو خطأ، وقد انتشر هذا النوع بين وسائل الإعلام الحديثة نتيجة ارتباطه بمشاغل الحياة السياسية وقضايا الحكم والعلاقات الدولية والصراعات المختلفة، وتستمد المقالة السياسية مصادرها من أكثر المصادر سرعةً وحركة، وهي الأخبار والتعليقات التي تتناقلها وكالات الأنباء في مختلف أنحاء العالم، والمقالات السياسية لا تكون حيادية يقف الكاتب فيها موقف المعبر الموضح، أو المكتشف فحسب؛ ولكنّه في الغالب يقف موقف المناضل في سبيل رأي المدافع عن وجهة نظر" (20).

3-3 البناء وحداثة الشكل الروائي

يمكن القول: إنّ رواية إعدام رئيس من الروايات الأردنية التي اتّسمت بطابع التجريب في الفلسفة والطرح والتشكيل البناء، إذ إنّها تقترب من بناء المقال السياسي في جلّ عتباتها؛ فكلا النوعين ينهل من المنبع نفسه، ويعتمد على الأحداث السياسية والتقلبات في مراكز السلطة، وعلى الرغم من اعتمادها على المقالات المنشورة في وسائل

الإعلام والقنوات الفضائية والشخصيات الحقيقية، غير أنها لم تخرج من هُويتها وجنسها الروائي، إذ تضمنت شخصيات مصطنعة من مخيلة الكاتب؛ لتكون بذلك قد مزجت بين الحقيقة والخيال، وتحفظ نفسها من دائرة الخروج عن الجنس، ولعلَّ عتبة (أخبار سهام وعبّاس) من العتبات التي حقّقت للرواية هُويتها ومحافظتها على جنسها؛ إذ أخذ السرد فيها ينحو إلى الخيال واصطناع الأحداث بواسطة الراوي العليم، وذلك من خلال إيجاد شخصيات متخيلة تساهم في بناء الأحداث وتطورها. ومما ورد في هذه العتبة قول الراوي: كان عبّاس يمارس تجارة السيّارات بعد أن ترك الجيش، فكان يشتري سيارة واحدة يقوم بإصلاحها وتوظيفها بنفسه، ثمّ يعرضها للبيع فيريح بعض المال الذي كان يصرفه على البيت؛ بالإضافة إلى ما يجنيه من مال مقابل إيجار أحد البيوت القديمة التي كان يمتلكها من ميراث أبيه⁽²¹⁾. ومن الشخصيات التي أوجدتها مخيلة الكاتب، والتي ساهمت في بناء الحدث وتطوره شخصيات (سليم، عائشة، حسّان، سالم، علي، إيناس، عبدالرحمن، ناصر)، وكلها شخصيات اصطنعها الكاتب وأناط إليها مهام تسير الأحداث واتخاذ المواقف، أمّا الجانب الآخر من الرواية والذي يجعلها في مصب الحقيقة، قيام الراوي بسرد أسماء شخصيات حقيقية بأفعال حقيقية كان لها حضورها في الواقع السياسي العراقي إبّان الاجتياح الأمريكي للعراق، ومن هذه الشخصيات إضافةً للشخصيات المذكورة آنفاً: شخصية عزت الدوري، ففي عتبة (شراسة المقاومة) يقول الراوي: "قَادَ عزت الدوري دقّة المقاومة بحنكة فائقة، فقد تجمّع حوله كل البعثيين المخلصين، وأخذوا ينسّقون مع بقية فصائل المقاومة الإسلامية؛ للضرب بيد من حديد على المصالح الأمريكية والایرانية في العراق، وقد قويّت شوكة المقاومة وزدادت ضرورتها بانضمام كثير من الشّبان من الدول المحيطة بالعراق"⁽²²⁾.

يكتب للروائي في تشكيله وبنائه لهذا النمط الروائي التجريبي قدرته على التنقل بين الأمكنة والشخصيات ومزجه بين الشخصيات الحقيقية والخيالية؛ ليقدم بذلك نمطاً جديداً لمعمار الرواية العربية من حيث حداثة الشكل الروائي، واستخدامه لأساليب جديدة في البناء الفني لها؛ إذ تمكّن من توظيف فن المقالة ومعطيات العلم الحديث من

وسائل إعلام متعددة ولقاءات حيّة مع شخصيات كانت شاهد عيان على الحدث، وكلها - الأحداث والمواقف - صاغها ضمن معمار روائي جديد من حيث الشكل والبناء.

من العتبات التي نقف عليها - إضافة لما سبق - والتي نلتبس فيها السمات المقالة، عتبة (المعارضة السورية)؛ إذ يقول فيها: " في عام 1982 عندما وقعت أحداث سورية بين الأخوان المسلمين والحكومة، اضطر مئات الأخوان إلى مغادرة سوريا إلى بغداد، حيثُ استقبلهم صدام حسين وأعطاهم حقوقاً ومكتسبات سياسية أبقى على حياتهم وجعلت منهم حلفاء مخلصين للنظام العراقي " (23). وورد أيضاً في متن الرواية قول الراوي: " انفرج الوضع السياسي في سوريا كثيراً، وخاصةً بعد أن تسلّم بشار الأسد مقاليد الحكم، فقد أفرج عن كثير من السّجناء السياسيين، وانفتح بابٌ واسعٌ للحريات العامة، وعمل مصالحه وطنية مع الأحزاب وعلى رأس تلك الأحزاب جماعة الأخوان المسلمين المحظورة؛ التي كانت العدو التقليدي لحزب البعث" (24). ومما ورد في الرواية من سرد يقربها ويجعلها تتداخل مع المقالة السياسية ما جاء على لسان إحدى الشخصيات (الضابط) إذ يقول: إنّ العرب الآن بحاجة إلى وقفة تأمل؛ ليوافقوا التّأمر الذي يحاك ضدهم، فإنّ سوريا الآن هي المستهدف القادم للإدارة الأمريكية، وإنّ ما حلّ بالعراق سيحل بسوريا إذا لم يتنبه العرب ويفيقوا على ما يخطط ضدّ هذه الأمة. ونحن الآن بحاجة إلى تكاتف الجميع من أجل أن نحافظ على هويتنا ووجودنا" (25).

لقد نهضت رواية إعدام رئيس بهذا النمط التجريبي وهذه الفلسفة الجديدة في الطّرح والتّشكيل والبناء بمهمةٍ جديدةٍ، تتضاف إلى مهام الرواية عامةً، إضافةً للمهمة الأدبية؛ نراها تأخذ من دور الصحافة ووسائل الإعلام، وتشارك القنوات الفضائية المسموعة والمرئية في إيقاظ الوعي وبث الأخبار، ناهيك عن دورها في مواجهة التحديات والأزمات التي تعاني منها الأمة العربية ممثلةً بالعراق في هذه الرواية، وهذا يعني بمجمله أنّ هذه الرواية فتحت الأفق للتحوّلات الروائية ولم تبق أسيرة الشّكل التقليدي؛ وإنما أصبحت الرواية نصّاً مفتوحاً متعدد الخطابات والاتجاهات.

خاتمة:

يتبين للقارئ أن رواية إعدام رئيس من الروايات التجريبية التي احتضنت ظاهرة التداخل الأجناسي فيها، وكان جنس المقالة بأنواعها من الأجناس الأدبية التي تداخلت في سردها، ولم تعد في الوقت نفسه الاستفادة من معطيات روح العصر ومستجداته؛ بل كان حضور الأحداث السياسية في متنها زائفاً، ولعل حضور هذه الأحداث جاء بفعل الاستفادة الرواية من تقنيات فن المقالة الذي احتضنته الصحافة ووسائل الإعلام المتعددة، ولهذا تجد معظم الروايات التجريبية تنحو جهة الأجناس الأدبية وتستفيد من تقنياتها.

وفي هذه الدراسة وجد الباحث نمطاً روائياً تجريبياً وفلسفة جديدة في الطرح والتشكيل والبناء، وتعد رواية إعدام رئيس أنموذجاً روائياً يتخذ من فن المقالة والخبر التلفزي ركيزة أساسية ونمطاً جديداً من التعبير، حيث توسع الرواية من نفوذها، وتصل لأكبر عدد من الجمهور. وفي النهاية نتوصل إلى النتائج التالية:

- 1- لم تحض هذه الظاهرة بعناية النقاد والدارسين في الرواية كما حظيت بها الأجناس الأدبية الأخرى.
- 2- لاحظت الدراسة أن رواية إعدام رئيس تداخلت مع المقالة في لغتها وبنائها ومرجعيتها وتشكيلها.
- 3- لم تفقد رواية إعدام رئيس هويتها كنوع أدبي رغم كل ما فيها من تداخل في متنها.
- 4- إن ظاهرة تداخل الرواية والمقالة من الظواهر اللافتة للنظر في الإنتاج الإبداعي في العصر الحديث، وهي من أهم إفرازات التجريب، وتعد رواية إعدام رئيس أنموذجاً روائياً أردنياً لهذه الظاهرة.
- 5- إن احتضان الرواية لجنس المقال يساهم في وقوفها - الرواية - على مستجدات العصر وتقلباته.

التوصيات:

- 1- لا بدّ من إيلاء هذه الظاهرة الأهمية في الدراسات النقدية؛ لما تحقّقه من منفعة في مسيرة الفن الروائي.
 - 2- العناية بفن الرواية وتناولها بمناهج نقدية جديدة، بما يحقق لها استقلاليّتها والمحافظة على هويّتها.
 - 3- تعميم نتائج الدراسة وغيرها من الدراسات المتصلة بهذه الظاهرة بغية العمل بمقتضاها، وبما يسهم في المحافظة على النوع واستمراره وعدم زواله وفنائه.
- هوامش البحث:**

- 1- عليان، حسن، الرواية في الأردن (أوراق ملتقيات عمّان الإبداعية)، ملتقى الرواية في الأردن، ص 83
- 2- جاويش، علاء الدين، الاتجاه السياسي في الرواية، ص 17
- 3- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص 5
- 4- عطية، أحمد محمد، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية) ص 7
- 5- الياسري، قيس، الفنون الصحفيّة، ص 6
- 6- إبراهيم، أحمد إبراهيم، فن كتابة الخبر والمقال الصحفي ص 55
- 7- حداد، نبيل، في الكتابة الصحفية ص 25
- 8- مدكور، مرعي، الصحافة الإخبارية ص 12
- 9- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص 9
- 10- حداد، نبيل، في الكتابة الصحفية ص 18
- 11- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص ص 155-156
- 12- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص 154
- 13- عروس، بسمة، التفاعل في الأجناس الأدبية (مشروع دراسة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة)، ص 87
- 14- المرجع نفسه ص 87
- 15- انظر كتاب إسماعيل إبراهيم، فن المقال الصحفي (الأسس النظرية والتطبيقات العملية) ص 65
- 16- المرجع نفسه ص 69
- 17- عطية، أحمد محمد، الرواية السياسية ص 17
- 18- إبراهيم، إسماعيل، فن المقال الصحفي ص 70

- 19- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص 48
- 20- الأصفر، محمد علي، الوظيفة الإعلامية لفن المقالة في الأدب العربي الحديث ص ص 111-112
- 21- الغول، تيسير، إعدام رئيس ص 87
- 22- المصدر نفسه ص 102
- 23- المصدر نفسه ص 50
- 24- المصدر نفسه ص 52
- 25- المصدر نفسه ص 74
- قائمة المصادر والمراجع
- أولاً: المصادر
- 1- الغول، تيسير، إعدام رئيس (2009) ط1، عمان - الأردن، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.
- ثانياً: المراجع
- 1- إبراهيم، إبراهيم أحمد، فن كتابة الخبر والمقال الصحفي (2009)، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.
- 2- إبراهيم، إسماعيل، فن المقال الصحفي (الأسس النظرية والتطبيقات العملية) (2003)، ط2، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع.
- 3- الأصفر، محمد علي، الوظيفة الإعلامية لفن المقالة في الأدب العربي الحديث (1998)، طرابلس - ليبيا، منشورات جامعة الفاتح.
- 4- جاويش، علاء الدين، الاتجاه السياسي في الرواية (2011)، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية.
- 5- حداد، نبيل، في الكتابة الصحفية، (2002) الأردن - عمان، أمانة عمان.
- 6- عروس، بسمة، التفاعل في الأجناس الأدبية (مشروع دراسة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة) (2010)، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.
- 7- عطية، أحمد، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، (1981)، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- 8- عليان، حسن، الرواية في الأردن، (أوراق ملتقيات عمان الإبداعية) (2002)، ملتقى الرواية في الأردن، عمان، منشورات اللجنة الوطنية العليا.
- 9- مذكور، مرعي، الصحافة الإخبارية (2002)، القاهرة، دار الشروق.
- 10- الياسري، قيس، الفنون الصحفية (1991)، جامعة بغداد، دار الحكمة للطباعة والنشر.